دكتور بهاء الأمير

# النبي العربي






٢٠٢٠م

# دكتور بهاء الأمير

# النبي العربي



٢٠٢٠م

# السؤال

## عمر انس

سؤال يـؤرقني أطرحـه للـدكتور، .كيـف يكـون النبـي محمـد صـلى الله عليـه وسلم عربياً وجده الأكبر إبراهيم ليس بعربي؟

# الإجابة

# دكتور بهاء الأمير

# (١)

## مسألة منهجية

الاسم أو العنوان الواحد قد يقع تحته معانٍ متعددة، وقد تلتقي هذه المعاني معاً في اللفظ الواحد ويتمم بعضها بعضاً، أو تكون مختلفة، وأحياناً قد تكون متناقضة ومتضاربة، فإذا كان اللفظ أو العنوان الواحد يحمل معاني متعددة أو يوحي بأشياء مختلفة فيلزم حينئذ قبل الشروع في الكلام عن مسألةٍ تحديد المعنى المقصود بها من بين معانيها المختلفة، وهو ما يُعرف بتحرير المقال.

ولذا أول ما يبدأ به الفقهاء الكلام في أي مسألة أو باب هو تعريف الموضوع، والتفرقة بين المعنى الشرعي أو الاصطلاحي وبين المعنى اللغوي أو العمومي، لكي لا يلتبس المعنى الذي يتكلمون عنه بالمعنى العام الذي يحمله اللفظ ويتبادر إلى أذهان عموم الناس، فالصلاة في اللغة غير الصلاة شرعاً، وكذلك الصيام والزكاة والجهاد والزواج والطلاق وجميع أبواب العبادات والمعاملات.

# (٢)

# العربية في القرآن

العربية تحمل معنيين قد يلتقيان وقد يفترقان، وهما العربية بمعنى العِرق والدم والنسب والسلالة، والعربية بمعنى اللغة واللسان، فإذا التقت عربية اللغة واللسان بعربية الدم والسلالة فلا مشكلة، والمشكلة عند افتراقهما، إذ لابد حينها من التمييز بين معيار الحكم بالعربية في الوحي، وبين ميزان الحكم بالعربية العمومي الذي تعارف عيه المؤرخون وعموم البشر.

ومعيار الحكم بالعربية في القرآن هو اللغة واللسان، وليس العرق والدم والسلالة، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يوصف في القرآن مطلقاً بأنه عربي، بل بأنه أمي، وكذلك قومه لم يوصفوا بأنهم عرب، بل بأنهم أميون، والذي يوصف في القرآن بأنه عربي هو القرآن نفسه، أو الوحي عموماً:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ (يوسف:٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ (الرعد: ٣٧).

وكذلك اللسان الذي أُنزل عليه القرآن ويُناط به قراءته واستيعابه وفهمه:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾

(النحل: ١٠٣).

فالعربية في القرآن هي اللغة، والعرب هم القوم الذين لسانهم العربية التي نزل بها القرآن.

والذي يُحدِث اللبس أن هؤلاء الذين لسانهم العربية كانوا عند نزول القرآن قبائل أو قوماً من سلالة واحدة، فكانت تلتقي فيهم عربية اللغة واللسان

المقصودة في الوحي بعربية النسب والسلالة التي هي المعنى العمومي والمباشر والقريب إلى الأذهان.

وبسبب هذا الالتباس بين معنى العربية في الوحي ومعناها العرقي، وتوحدهما معاً في الوقت نفسه في عرب عصر نزول القرآن، توجد مفارقة في كثير مما كتبه الأئمة والمؤرخون عن العرب، فكانوا في سياق كلامهم عن العرب كقوم أو سلالة، يجعلون مدار حكمهم على هؤلاء العرب في اللسان واللغة، لا العرق والدم، ودون أن ينتبهوا إلى أن ثمة فجوة بين المعنيين، وأنهما التقيا في عرب عصر نزول القرآن، ولكن هذا الالتقاء ليس بلازم وقد ينفصلان.

ومن قبيل ذلك أن بعض الأئمة نصوا على أفضلية العرب كقوم وجنس على غيرهم من الأمم، ولكن حين تدقق في حيثياتهم لهذا التفضيل تجد أنها قدرة العرب على فهم القرآن واستيعابه وإدراك مراميه أكثر من غيرهم من الأمم، أي إن حيثيات التفضيل ذهنية نفسية وأخلاقية، ولغوية لسانية، ولا علاقة لها بالدم والسلالة.

يقول الإمام ابن تيمية، في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم بعد أن ذكر فضل العرب على سائر الأجناس، ونقل نقولاً في ذلك:

"**وسبب هذا الفضل، والله أعلم، ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ، وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم، وتمام، وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بياناً، وتمييزاً للمعاني جمعاً وفرقاً، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، وأما العمل**

**فإن مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلةً عن فعله، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى، أخذوا هذا الهدى العظيم بتلك الفطرة الجيدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم"**

وأئمة النحو واللغة العربية قسموا قبائل العرب التي يُحتج بكلامها وأشعارها ويؤخذ منها معاني الكلمات ويفسر بها القرآن إلى طبقات، فجعلوا الاحتجاج بكلام قبائل البادية المنقطعة عن الحضر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ويسمونهم أكلة اليرابيع، أما قبائل الحضر فأوقفوا الاحتجاج والاستشهاد بكلامها عند منتصف القرن الثاني الهجري، لمخالطتها للأعاجم، فكان معيارهم للتمييز والتفضيل لغوياً أيضاً، رغم أنها كلها قبائل عربية خالصة وتستوي في العرق والدم، وقد نصوا على أسمائها وأنسابها.

وفي زماننا هذا، يطلق اسم العرب على كثير من الشعوب، المصريون والسودانيون والليبيون والتوانسة والجزائريون والمغاربة، وهم ليسوا عرباً بالجنس والعرق، بل باللغة واللسان والتكوين الذهني والنفسي والقيمي والأخلاقي، وبعض هذه الشعوب تنتمي للعربية، وأكثر غيرة لها وحفاظاً عليها، ودفاعاً عن تاريخها ومقدساتها، من عرب الدم والسلالة.

# (٣)

# عربية إسماعيل

روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس في حديث قصة أم إسماعيل، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في الحديث:

" **وشب الغلام وتعلم العربية منهم**".

وروى الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين عن ابن عباس، موقوفاً عليه أنه قال:

"**أول من نطق بالعربية إسماعيل**".

والعربية المقصودة هنا هي الفصحى التي نزل بها القرآن، وإلا فإن العربية أقدم من ذلك، وهي أصل جميع اللغات.

ومدار عربية إسماعيل عليه السلام، في حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وفي كلام ابن عباس، هو اللغة واللسان، لا الدم والسلالة.

وليس في السنة ما يصف إسماعيل عليه السلام من جهة الدم والنسب، وهل هو عربي أو غير ذلك، لأن المُعوَّل عليه في الوحي ومعيار الحكم بالعربية هو اللسان وليس السلالة.

وأما ماروراه الإمام الترمذي، عن وائلة بن الأسقع، أنه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

"**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**".

فالمقصود بالاصطفاء هنا الشرف والاصطفاء الأخلاقي، وليس الاصطفاء العرقي، أي إنه عليه الصلاة والسلام انحدر في كل جيل من أشرف بيوتاته وأكثرهم طهارة ومحافظة على الأخلاق، والتي تعرفها جميع الأمم بفطرتها، ومن آثار النبوات الأولى الباقية فيها.

وهو ما جاء نصاً في حديثه عليه الصلاة والسلام الذي رواه الإمام الطبراني في معجمه الأوسط، عن علي بن أبي طالب، أنه عليه الصلاة والسلام قال:

"**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**".

وخلاصة هذه المسألة، أنه قبل الكلام عن عربية الدم والنسب، النبي عليه الصلاة والسلام عربي بمعيار الوحي، لأن لسانه العربية، وهو أفصح من نطق بها وأوتي جوامع كلمها، ولأنه نشأ بين قوم لسانهم العربية الخالصة، وهم أبلغ من تكلم بها.

# (٤)

## النبي العربي

رغم أننا نوقن أن العربية في الوحي، معيارها وميزانها الأول اللسان واللغة، لا الدم والنسب، وأن النبي عربي وجوهر العرب وأولاهم بالنسبة للعربية، لأنه أفصح من نطق بالعربية، ولأنه الذي تلقى معجزتها، إلا أن في المسألة أبعاداً أخرى يجب استيفاؤها، وهي تتعلق بعربية النبي عليه الصلاة والسلام من جهة الدم والنسب، لأن أعلى درجات العربية، كما تعلم الآن، هي أن تلتقي عربية اللغة واللسان مع عربية الدم والسلالة.

وأول هذه الأبعاد التي تتعلق بنسب النبي إلى العرب، أن من طرحوا هذه المسألة في ظل الفوضى الذهنية والنفسية والعشوائية التي تجتاح بلاليص ستان، وخوض أي أحد في أي شيء دون تحرٍ ولا تحقيق، خصوصاً في مقاهي الإنترنت، هؤلاء طرحوا المسألة على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ليسوا من العرب، وفرعوا عن ذلك أن النبي عليه الصلام والسلام ليس عربياً باعتبار أن أجداده ليسوا عرباً.

وكون إبراهيم وإسماعيل ليسوا من العرب، مسألة أخرى، وفرضية سنعرفك بحقيقتها بعد قليل.

أما هنا، فبافتراض أن إسماعيل ليس عربياً، فهو ليس الجد المباشر للنبي عليه الصلاة والسلام، بل من عدنان من ولد إسماعيل إلى النبي واحد وعشرون اسماً، وجميعهم من العرب، ويقابلهم إحدى وعشرون امرأة، هن جميعاً من العرب أيضاً.

فالنبي عليه الصلاة والسلام، حسب رواية ابن حبان، وهو من المحدثين، في كتابه: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، النبي هو:

"**محمد، بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، بن إسماعيل، بن إبراهيم**".

وعدنان ليس ابن إسماعيل مباشرة، بل بينهما سبعة أو تسعة أو خمس عشرة، على خلاف بين أصحاب السير، وهم يصلون عدنان بإسماعيل مباشرة، لأن ما بينهما أسماؤهم مجهولة.

والمسألة الآن تكون هكذا: إسماعيل غير العربي (فرضاً) تزوج من عربية، فيكون ابنه نصف عربي، أو نصف دمائه عربية، وهو النصف من جهة أمه، وابنه هذا تزوج من عربية فيكون ابنه وحفيد إسماعيل، ثلاثة أرباع عربي، وهكذا، إلى أن نصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

ولأن جميع آبائه وأمهاته عليه الصلاة والسلام، بينه وبين إسماعيل، من العرب، وهؤلاء الآباء من النبي إلى عدنان واحد وعشرون، وكذلك الأمهات إحدى وعشرون، وبين عدنان وإسماعيل سبعة على أقل تقدير من الرجال، ومثلهم من النساء، وزوجة إسماعيل نفسها عربية، فيكون النبي عليه الصلاة والسلام قد انحدر من ثمانية وعشرين جيلاً من العرب الخُلَّص رجالاً ونساءاً، وهو عليه الصلاة والسلام عربي الدم والسلالة بنسبة:

**٢١+٢١+٧+٧+١: ١، أي ٥٧: ١، أو ٩٨,٢٥%.**

وبقي أن نعرفك أن هذه الطريقة في حساب درجة الدم والسلالة، هي طريقة بني إسرائيل في حساب نقاوة أنسابهم وأسباطهم حين تختلط بالأمم الأخرى، وهي كذلك الطريقة التي استعارها النازيون من اليهود، وطبقوها على الألمان، ليحسبوا بها درجة نقاء العرق الآري.

وكما ترى، ترك اللغة واللسان، والعقائد والبناء الذهني والنفسي، إلى الأعراق والأنساب، والبحث عن نقاوة الدماء والسلالات، وجعلها معيار التفاضل عند الله عز وجل، سوف يُخرجنا بالصرورة من ميزان الوحي ومعياره، إلى ميزان التوراة، ويسير بنا شئنا أم أبينا خلف التحريف البني إسرائيلي الذي أنزل عز وجل بيانه لكشفه ومحو آثاره، ومن أجل إعادة ميزانه.

وميزان الله عز وجل هو:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

# (٥)

## عربية إبراهيم

الأفسال الذين تمتلئ بهم بلاليص ستان، ويتصدرون مقاهيها الفضائية، ويدلون بدلوهم في كل شئ دون أن يكون عندهم علم بأي شئ، ودون أن يبذلوا أدنى جهد في تحقيق أي مسألة يخوضون فيها، طرحوا مسألة عدم عربية النبي عليه الصلاة والسلام، وبنوا طرحهم على أن إبراهيم ليس عربياً، ومن ثَم ابنه إسماعيل.

وهذه المسألة لها وجه آخر، أبعد غوراً وأشد عمقاً، ويحتاج إلى تجلية وتحقيق.

**فأولاً:** في سفر التكوين أنه:

**"وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا ... وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ".**

وأور الكلدانيين، التي يقول سفر التكوين إنها بلد أبرام/إبراهيم عليه السلام، استكشفها المستكشف البريطاني تشارلز وُولي Charles Woolley، سنة ١٩٢٧م، وحدد موقعها جنوب شرق العراق، قرب مدينة الناصرية على نهر الفرات.

**وثانياً:** يقول الإمام الطبري في تاريخه/تاريخ الرسل والملوك:

**"قال بعضهم: كان مولده (إبراهيم) بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد، وقال بعضهم: كان بالسواد**

**بناحية كوثي، وقال بعضهم: كان مولده بالوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثي".**

وعن كوثي، يقول الجغرافي ياقوت الحموي في معجمه للبلدان:

**كُوثي: بالضم ثم السكون والثاء مثلثة وألف مقصورة تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم ... كوثي في ثلاثة مواضع: بسواد العراق في أرض بابل، وبمكة، وهو منزل بني عبد الدار ... وكوثى العراق كوثيان، أحدهما كوثي الطريق، والآخر كوثى رَبَى، وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام وبها مولده، وهما من أرض بابل".**

وكوثي تُعرف الآن بتل إبراهيم، ومكانها قرب مدينة جبلة، وسط العراق، شرق نهر الفرات، وإلى الشمال الشرقي من مدينة بابل.

فإبراهيم عيه السلام وآباؤه من العراق، وسطها أو جنوبها، وهي بلاد الأكاد وأشور والكلدان القديمة.

والبعد العميق الغور في مسألة أصل إبراهيم عليه السلام، هو أنه لا خلاف بين علماء الأجناس واللغات، أن الشعوب التي استوطنت جزيرة العرب والحبشة وبين النهرين والشام، والتي اصطلحوا على تسميتها بالشعوب السامية، تنحدر جميعها من أصل مشترك، أو شعب واحد، كان مجتمعاً في بقعة واحدة، ويتكلم لغة واحدة، ثم تفرق هذا الشعب وهاجرت فروع منه بسبب عوامل بيئية وتحولات مناخية.

والخلاف بين هؤلاء العلماء، فقط في أين كانت البقعة الأولى التي كان هذا الشعب مجتمعاً فيها قبل أن يتفرق، وما هي اللغة الواحدة الأصلية التي كان يتكلمها هذا الشعب ثم انشعبت منها بقية اللغات مع تفرقه.

والنظرية الراجحة عند علماء اللغات الغربيين، هي أن الموطن الأول والأصيل لهذا الشعب الواحد، هو غرب جزيرة العربية، في المنطقة التي تمتد من جنوب الحجاز إلى اليمن، وأن اللغة الأولى التي كان يتكلمها هذا الشعب، وجميع اللغات السامية الأخرى تفرعت منها، هي اللغة العربية القديمة، عربية ما قبل الفصحى.

وهي مسألة بسطناها بسطاً واسعاً مع براهينها وأدلتها التفصيلية في باب: العربية أم اللغات، من كتابنا: تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب، فارجع إليه وراجعها فيه.

فإذا راجعت الكتاب ورجعت إلينا، تكون قد علمتَ أن إبراهيم عليه السلام، وقاطني بلاد ما بين النهرين، انحدروا من الفرع من العرب الذين هاجروا إليها من غرب جزيرة العرب، فهو وهم عرب بالعرق والدم.

أما لغاتهم، الأكادية والأشورية والكلدانية، ومثلها العبرية والسريانية والنبطية والحبشية، فقد تحورت، كما يحدث في كل اللغات عبر التاريخ، فابتعدت عن عربية جزيرة العرب، ولكن ظلت آثارها باقية فيها، على ما هو مفصل في كتب اللغات السامية ونحوها، وفي كتابنا: تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب

**دكتور بهاء الأمير**

**٦ ربيع الثاني ١٤٤٢هـ/٢١ نوفمبر ٢٠٢٠م**